الدور التاريخي لمدينة نابلس في قافلة الحج الشامي
(دراسة تاريخية)

د. شامخ علاونه

salawna@qou.edu

أستاذ مساعد: قسم التاريخ

كلية التربية

جامعة القدس المفتوحة

فرع رام الله والبيرة التعليمي

ملخص البحث:

تناول موضوع البحث علاقة سنجق نابلس بركب الحاج الشامي ممثلة بمدينة نابلس ومتسليمها الذين تقلدوا إمارة الحج في الفترة العثمانية؛ حيث وقع على عائق الألوية الجنوبية لبلاد الشام تحمل جمع مال لتحضير قوافل الحج السنوية وما يلزمها أيضاً حال رجوعها وتحضير مال الجردة أيضاً من تلك الألوية، حيث يستنتج من بعض المصادر التاريخية أن مال الجردة شكل عباً إضافياً على التاجر والملتزمين كل عام.

عملت مدينة نابلس على إسترجاع جزء ليس بالقليل من هذا المال من خلال التجارة ، فقد كانت مدينة نابلس المصدر الأول لمادة الصابون الذي كان يستخدمه الحجاج طوال فترة ثلاثة أشهر سنوياً في رحلة الحج، كذلك تشير بعض المصادر التاريخية أن مدينة نابلس كانت المورد الأول لقرب الفخار التي كانت تستخدم لنقل الماء مع القافلة حتى وصولها لأماكن البرك والعيون التي قامت الدولة العثمانية بتأسيسها على طول الطريق، كما كانت مدينة نابلس المصدر الأول لمادة الجلود أيضاً التي تستخدم للماء أيضاً حيث أنها أسهل للحمل وغير قابلة للكسر كما هو الفخار.

أحاطنا البحث بقائمة متسلمي نابلس وإمارة الحج منذ بداية الفترة العثمانية حتى عام 1915؛ ووضح البحث الفئات المختلفة التي أنيطت بها حماية قافلة الحج في الفترات المختلفة ، ممثلة بداية الأمر بأمراء السناجق المحليين كآل فروخ والنمر وطوقان وغيرهم في مدينة نابلس، وكذلك ولاة الشام أنفسهم حيث أوكلت مهمة حماية الركب الشامي للوالي شخصياً، ومن ثم لقائد عسكري نظراً لتعذر غياب الوالي فترة طويلة عن المدينة، إذا أنه كان لا بد من مرافقة القافلة بشكل شخصي.

تناول البحث موضوع الصرة التي كانت تخصصها الدولة العثمانية للقبائل البدوية، وتدفع على مرحلتين مرحلة الذهاب والإياب، حتى تضمن عدم الإعتداء عليها وقت رجوعها، فقد كانت قافلة الحج موسماً اقتصادياً سنوياً بالنسبة للقبائل البدوية التي تمر من أراضيها وموردا اقتصادياً ذا مردود جيد، ومن الجدير ذكره أن قافلة الحج توقفت لأكثر من عامين لقاء عدم دفع الصرة من الولاة والأمراء المحليين للقبائل البدوية، وكثيرة المصادر التاريخية التي تذكر الاعتداءات التي أودت بقتل أحياناً عشرين أو أخرى أكثر من مائة حاج على يد البدو بسبب عدم دفع الصرة.

وتطرق البحث إلى إستفادة مدينة نابلس من قافلة الحج، حيث كان الحجاج في طريق عودتهم إلى مدنهم وقراهم يستريحون في مدينة نابلس ؛لذلك كان لا بد من إنشاء الخانات، وبالفعل فقد أنشأ في مدينة نابلس الخان الفروخي الذي يطلق عليه الوكالة الفروخية، والتي تقع غرب سوق السلطان والتي أنشأها الأمير وقام على إدارتها آل فروخ أمراء الركب الشامي.

التقسيم الإدراي لمدينة نابلس في الفترة العثمانية:

كانت معركة مرج دابق عام (923 هـ / 1516م)([1]) وانتصار العثمانيين على المماليك فيها، إعلان خضوع الوطن العربي للدولة العثمانية، ونتيجة لذلك قسمت بلاد الشام إلى عدة)إيالات) أو ولايات([2])، وهي دمشق ، وطرابلس وتضم اللاذقية شمالاً حتى ضواحي جونيه جنوباً، وحلب وتضم شمال سوريا، وكانت فلسطين تتبع إدارياً ولاية دمشق، وقسمت ولاية دمشق إلى خمسة ألوية أو (سناجق))[3](وهي كالتالي: لواء القدس، وغزة، وصفد، ونابلس، واللجون، إضافة إلى سنجقين في شرقي الأردن وهما عجلون والكرك مع الشوبك ، وقد تغيرت هذه التقسيمات في فترات لاحقة ولم تكن ثابتة ([4]). فأول حاكم إداري (والي) لولاية دمشق كان جان بردي الغزالي، حيث قام السلطان سليم بمكافأته على خيانته للمماليك ومساعدته لهم على فتح مصر([5])، وقد تم تعيين حاكم إداري لولاية حلب، وكذلك لولاية طرابلس، ونتيجة لبعض التطورات الداخلية قامت الدولة العثمانية بإضافة ولاية صيدا، حيث أصبحت تضم كلا من صفد وصيدا مركز الولاية مع بيروت عام(1071 هـ/ 1660) ([6]). لقد كان الترتيب الإداري لبلاد الشام يتغير من فترة لأخرى تبعاً للتغيرات والثورات التي تحدث ضد الدولة العثمانية ؛ فقد عين السلطان العثماني سليم الأول المعنيين الذين قدموا الولاء له على التنوخيين أمراء جبل لبنان فترة المماليك أمراء على جبل لبنان([7]). أما ولاية صيدا فقد امتدت من جسر نهر المعاملتين ما بعد جونيه شمالاً حتى مدينة عكا وخليج حيفا جنوباً ،وكانت تشمل لبنان الجنوبي بما فيه واد التيم (إقليم حاصبيا) الواقع على سفوح جبل الشيخ الغربية وحتى نهر الليطاني شرقي صور، وجبل عامل (بلاد المتاولة) ثم إقليم الحولة، ثم بلاد صفد والجليل([8]).

إن التقسيمات الإدارية السابقة هدفها تسهيل عملية إحكام السيطرة على تلك الولايات من جهة، وجباية الضرائب المختلفة والمتعددة على السكان والأمراء والملتزمين، بالإضافة إلى تقسيم الأراضي حسب نظام

1- ابن إياس أبو البركات محمد بن أحمد (ت930 هـ /1523م)، ط2، بدائع الزهور في وقائع الدهورج5، تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة، 1963، ج5، ص 72-68.

2 -الإيالة: تعتبر التقسيمات الإدارية في الدولة العثمانية، فقد كانت الدولة مقسمة إلى أيالات، والإيالات إلى سناجق والسناجق إلى أقضية والأقضية إلى نواحي والنواحي إلى قرى، وقد أشرف على الايالات في الدولة أمير الأمراء ثم الوزراء بعد القرن السادس عشر الميلادي، حيث كانوا يمثلون السلطان ويجمعون بين الحكم الإداري والعسكري للإيالة ولهم النفوذ المطلق ما عدا الحالات القضائية. سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، (1421 هـ/2000م)، ص 45.

3-السنجق: يعني العلم واللواء الخاص بالدولة، ثم خص بها اللواء الذي يمنحه السلطان للوالي أو الأمير تعبيراً عن ثقته بأنه أهل للحكم، ثم تطورت الدلالة فأصبحت تعني قسماً إدارياً من أقسام الدولة، وحلت محلها الكلمة العربية لواء للمعنى نفسه بمعنى قسم إداري، وكانت الأقسام الإدارية ترتب على هذا النحو: ناحية بمعنى (بلدة) قضاء، سنجق ولاية، وكان اللواء وهو السنجق يشمل من خمسة إلى عشر أقضية، وكان حاكم السنجق قبل عهد التنظيمات(1839) حاكماً عسكريا ومدنياً؛ غير أنه ليس متاحاً له التدخل في شؤون القضاء والعدالة، وبعد عهد التنظيمان أصبح متصرف. سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، (1421 هـ/2000م)، ص 136.

4- الموسوعة الفلسطينية، عبد الكريم رافق، فلسطين في عهد العثمانيين، المجلد الثاني ، القسم الثاني، بيروت، 1990، ص689؛ محمد كرد علي، خطط الشام، مطبعة الترقي، دمشق (1343 هـ /1925م)، الجزء 3، ص 236؛ إميل توما، فلسطين في العهد العثماني،ط1، دار الفجر للطباعة والنشر، القدس، 1983، ص19.

5- ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج5، ص 208.

6- محمد كرد علي، خطط الشام، ط2، ج 3، ، دار العلم للملايين، بيروت،1970 ، ص 228.

7- عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون، (1916-1516)، ط1، دمشق، 1974 ، ص96.

8- معمر توفيق ، ظاهر العمر، كتاب يتناول تاريخ الجليل خاصة والبلاد السورية عامة ، ط2، مطبعة أوفيست، الناصرة، 1990،ص11 .

الإقطاعات المختلفة ([9]) فأمر تلك الولايات لم يكن يتبع نظام الحكم المركزي مباشرة للدولة العثمانية وإنما تُرك للأسر الإقطاعية التي كانت موجودة منذ فترة عصر المماليك في بلاد الشام، ففي لبنان ترك أمر حكمها للأمراء المعنيين وبالتحديد من منطقة يافا إلى طرابلس([10]). ولهذا فقد كانت الولاية من الناحية الإدارية تقسم إلى سناجق أو متسليمات يحكم كل منها متسلم أو (متصرف) يرجع في شؤونه إلى والي الولاية ومثل هذه المتصرفيات، اللجون نابلس الكرك التابعة لدمشق، وبيروت وصفد التابعة لوالي صيداً([11]).

قسّم العثمانيون فلسطين وحدها على الرغم من صغر مساحتها إلى خمسة (ألوية) سناجق، بينما بقية ولاية الشام تضم على اتساعها أربعة سناجق فقط، وهذا يعود لأهمية ومكانة موقع فلسطين الجغرافي والديني؛ فهي تربط دمشق بمصر والحجاز، أي أنها محور الطرق الرئيسة ، فقرب فلسطين من الطريق السلطاني الذي كانت تستخدمه قافلة الحج الشامي المتجهة من دمشق إلي الحجاز، زاد من أهميتها الأمنية بالنسبة لهذه القافلة؛ لأن عدداً من القبائل الموجودة فيها أو القريبة منها كان يهدد طريق الحج، وكانت هذه القافلة عندما تشعر بخطر تلك القبائل في طريق العودة من الحجاز، تضطر لتحويل طريقها السلطاني إلى غزة، حيث الطريق التجاري بين مصر ودمشق وهو أكثر أمناً([12]).

دور والي الشام والأمراء المحليين في حماية القوافل:

دأبت السلطات العثمانية على الإهتمام بإمارة الحج([13]) وذلك من خلال إناطة حماية قافلة الحج الشامي على طول الطريق السلطاني([14]) بولاة الشام تارة _ خاصة منذ الربع الأول من القرن الثامن عشر([15]) _والأمراء المحلين كأمراء الألوية أو السناجق تارة أخرى؛ أما وآلي الشام فعندما كانت توكل إليه مهمة حماية الركب كان يخرج بنفسه لجمع الأموال المترتبة على الملتزمين([16]) وعلى أراضي الدولة الميري([17]) وغيرها من الإقطاعات المختلفة.

لقد تعددت مهام حماية ركب الحاج سواء كان الشامي أو المصري أو غيره من القوافل بين ثلاث فئات رئيسة أولها: الأمراء المحليون وثانياً: ولاة الشام وثالثاً الجنود السباهية، وبالتالي كانت هذه المهمة تعتبر

9 - الإقطاع هو نظام تقسيم الأراضي بأنواعها المختلفة من تيمار وزعامة وخاص لمزيد من التفاصيل حول هذه الإقطاعات وتأجيرها ومقاطعتها أنظر: سجل محكمة نابلس الشرعية، سجل رقم 1، حجة 3، سنة 1066.ص84.

10- تشارلز تشرشل، جبل لبنان، ترجمة أفندي الشعار، دار المروج للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1985، ص56.

11- معمر توفيق ، ظاهر العمر(كتاب يتناول تاريخ الجليل خاصة والبلاد السورية عامة) ، ط2، مطبعة أوفيست، الناصرة، 1990 ص10.

12- الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، الجزء الثالث، ط1، 1984، دمشق، ص 113-112.

13 أمارة الحج ومفردها أمير الحج وهو الرئيس المنتخب أو المشرف المعين على قافلة الحج المتجه من اسطنبول إلى مكة أو مصر أو الشام إلى مكة. سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1421 هـ/2000م، ص 37.

14 السلطاني: يطلق عليه أيضاً الدرب السلطاني وهو الطريق من دمشق متجهاً نحو الجنوب إلى حوران والحجاز، وهو طريق الحج أقيم عليه الخانات والاستراحات والمراكز الأمنية وغيرها ما يخص راحة الحجاج. عبد القادر الريحاوي، مدينة دمشق تراثها ومعالمها التاريخية، دمشق،1389 هـ/1969م،ص74.

15 عبد الكريم، رافق،. العرب والعثمانيون(1916-1516)، دمشق،ط1، 1974، ص 50.

16 -نظام الإلتزام: وهو مقاطعة أو اتفاق بين متولي وناظر الأملاك كالوقف مثلًا، وأصحاب التيمارات او الزعامت أو من ينوب عنهم أو وكلائهم سواء كانوا شخص أو عدة أشخاص يقوم بموجب هذا الالتزام أو المقاطعة بجباية الموارد المالية مقابل مبلغ متفق عليه كما تشير كثير من الحجج الشرعية في سجل محكمة نابلس الشرعية. سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1421 هـ/2000م، ص 35؛

معمر توفيق، ظاهر العمر، ص15.

17 -الأراضي الميري. الأراضي الحكومية التي تقوم بتأجيرها للملتزمين والأمراء المحليين في الألوية المختلفة.

دينية وتجارية واقتصادية في آن واحد، ولا بد للجهات الثلاثة السابقة الذكر تمويل قافلة الحج وبالإضافة إلى دور السلطة المركزية في العاصمة العثمانية بتقديم ما يعرف بالصرة للقبائل البدوية لعدم تعرضهم لقافلة الحج حيث حدث عددكبير من الاعتداءات من تلك القبائل لقاء عدم دفع الصرة والتي كانت تدفع على مرحلتين؛ فلقاء مرور القافلة ذهاباً يدفع جزءاً، ويدفع الجزء الآخر وقت العودة([18]) التي كانت تخصصها الدولة العثمانية لقاء سلامة تلك القافلة([19])، لقد أثر الصراع على النفوذ بين الأمراء المحليين، بعضهم مع بعض، وبينهم وبين ولاة الشام، على تعيين أمراء القافلة الحج وتنوع هوياتهم، وكان الأمراء المحليون يعينون، منذ الربع الأخير للقرن السادس عشر أمراء على القافلة، ونظراً لتمكنهم من توطيد سلتطهم المحلية وقدرتهم على تأمين سلامة القافلة من البدو، كانوا ينفقون أموال الميري التي يجمعونها من مناطقهم بصفتهم ملتزمين، على تمويل قافلة الحج والجردة([20]).

أما فيما يتعلق بفترة السلطان سليمان القانوني الذي حكم فيها من (1566-1520) فترة رخاء وهدوء سياسي وأمني وازدهار اقتصادي ومعماري بالنسبة لفلسطين والدولة العثمانية بشكل عام([21]). وهذا التطور والرخاء الاقتصادي انعكس ايجابياً على ازدياد أعداد السكان كنتيجة منطقية للتطور السابق الذكر، وهذا أدى إلى تقسيم لواء أو (سنجق القدس) إلى ناحيتين تكونت من 184 قرية، كما ضم لواء غزة 210 قرية، ولواء نابلس فضم276 قرية([22]).

فهذه القرى في الريف الفلسطيني وخاصة ريف نابلس وقع على عاتقها وعاتق تجار نابلس الكثير من الأموال الخاصة بالجردة، التي كانت تتم من خلالها عملية تموين الحجاج في أثناء عودتهم، وكذلك المال الخاص بتامين حراستهم ونقل أمتعتهم على الجمال، وأجرة العمال الذين يرافقونهم، فكان يترتب على وآلي الشام الخروج بنفسه لجمع الأموال اللازمة قبل ثلاثة أشهر من بداية سفره، وسميت هذه الفترة بالدورة، فكان يخرج قبل شهر رمضان ببضعة أسابيع مع فرقة عسكرية إلى مناطق محددة سلفاً، وكان ذلك بمثابة تذكير مادي للاهالي بالتزاماتهم الضريبية السنوية تجاه الدولة العثمانية([23])، وفيما بعد يترأس القافلة إلى مكة وذلك منذ النصف الأول من شهر شوال، ويعود إليها في النصف الأول من شهر صفر، وقد تتاخر عودته إذا ما تم تغير القافلة ناحية غزة من إعتداءات البدو المتكررة([24]).

حكمت الأسرة الأميرية المملوكية الأصل وهي أسرة آل فرّوخ لواء نابلس، وكانت تلك الأسرة حلقة الوصل بين آل طراباي في شمال فلسطين وآل رضوان في الجنوب (غزة)، وقد شغل أفراد آل فرّوخ وظيفة إمارة الحج الشامي لعدة أعوام ابتداءً من (1021/1612م) ([25])حيث تولى أمارة نابلس الأمير فروخ بن عبد الله

18 - عبد الكريم، رافق. العرب والعثمانيون، مرجع سابق، ص87.

19 - عبد الكريم، رافق. العرب والعثمانيون، مرجع سابق، ص199.

20 -الجردة: هي المؤنة التي كانت تحمل من دمشق إلى الحجاج أثناء عودتهم من الحجاز، وحين بدأ البدو يهاجمون الجردة إضطر المسؤولون لحمايتها، وبالتدرج أطلق تعبير الجردة على القافلة التي كانت تخرج من دمشق لتموين الحجاج العائدين. عبد الكريم، رافق. العرب والعثمانيون، مرجع سابق، ص168.

21 - عادل مناع، فلسطين في أواخر العهد العثماني 1918-1700، بيروت، 1999، ص 7.

22 - عبد الكريم، رافق . فلسطين في عهد العثمانيين، ص 599.

23 - بشارة ، دوماني. إعادة اكتشاف فلسطين(أهالي جبل نابلس 1900-1700)، مؤسسة الدراسات الفلسطينية،بيروت،ط1، 1998، ص29.

24 -عبد الكريم رافق، فلسطين في عهد العثمانيين، ص 202.

25- محمد أمين، المحبي (ت1699/1111م)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر،القاهرة، ط1، ج3، 1966،ص 272-271

الشركسي أمير الحج([26])، وتعاونوا مع حلفائهم على منع فخر الدين الثاني من الاستيلاء على القدس، كما خطط لذلك، وقاموا بحماية الحجاج كل عام، ومن أشهر آل فرّوخ الذين تصدّوا لتوسعات فخر الدين، الأمير محمد بن فرّوخ الذي تولى الحكم بعد وفاة أبيه الأمير فرّوخ بن عبد الله، وهو في طريقه إلى مكة على رأس قافلة الحج الشامي. وكان محمد قد عزل عن نابلس عدة مرات، ثم عاد إليها بفضل الدعم الذي لقيه من العثمانيين ضد عدوه الأمير فخر الدين الذي طمع بمنح حكومة نابلس لأبنائه وأعوانه، وتولى محمد بن فرّوخ إمارة الحج الشامي في معظم الفترة ما بين(1031 هـ/1622 م) إلى(1048 هـ/1639 م) ([27]).

لقد أفادت نابلس من الناحية السياسية والاقتصادية الجهود الحثيثة التي بذلتها الدولة العثمانية لضمان الأمن الكافي لقافلة الحج السنوية من دمشق، مروراً بنابلس حتى المدينة المنورة وتمويل نفقاتها، فمنذ أوائل الحكم العثماني باتت قوافل الحج العامل الرئيس في تطوير العلاقات السياسية والاقتصادية بين زعماء وسكان جبل نابلس والسلطة المركزية العثمانية، لذلك نجد فروخ باشا بن عبد الله أميراً للحج مدة قصيرة في أوائل القرن السابع عشر، وبالتالي كان لا بد من تطوير مرافق المدينة بما يتناسب وعدد الحجاج الذين سيعرجون على مدينة نابلس، ومن هنا كثرت الخانات والوكالات في المدينة وخاصة الوكالة التي تعرف حالياً باسم الوكالة الفروخية([28]) وهي تقع غرب خان السلطان وقد رممت مؤخراً من قبل بلدية نابلس، وعدد من المنشآت المندرسة التي لم تصلنا أخبارها.

إن الضرائب التي كانت تجبى من سكان جبل نابلس ومعظم أنحاء فلسطين كانت تخصص لسد نفقات تلك القوافل، فعلى سبيل المثال كان سكان جبل نابلس يساهمون أكثر من أية منطقة فلسطينية أخرى في تمويل تلك القوافل خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، وكانت تلك الأموال تتسرب عائدة إلى تجار نابلس وحرفييها في شكل مدفوعات، لقاء تموين قوافل الحج بالحوائج المنتجة محلياً، إضافة إلى نفقات النقل والفرقة المسلحة، لذلك فإن قسماً كبيرا من عوائد الضرائب التي كانت تدفع للقافلة تسترجع عن طريق طوائف الحرفيين المتنوعة التي كانت تكلف بتجهيز تلك القوافل ([29])، حيث كان يكلف على سبيل المثال مسؤول المياه في القافلة بضرورة تجهيز آلاف القرب والجلود الخاصة بحمل الماء في طريق القافلة، وكانت هذه القرب والجلود تشترى من السوق ولا تجبى كضرائب عينية، ويظهر كون هذا العمل التجاري خاضعاً تماماً لقوى السوق حيث ورد في سنة 1853م تم رفع سعر قربة الماء من 16 قرشاً إلى 21 قرشاً([30]).

توجه الامير فروخ بن عبد الله كعادة أمراء الحج على رأس القافلة سنة (1030 هـ /1620م)، إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج من جهة، ومرافقة القافلة من جهة أخرى، وكل مكانه في حكم سنجقي نابلس والقدس يوسف ولم يعين أبنه محمد، ولكن سرعان ما علم محمد بوفاة أبية وقام بقتل يوسف وقام مقامه

26- بشارة، دوماني. إعادة اكتشاف فلسطين(أهالي جبل نابلس 1900-1700)، مؤسسة الدراسات الفلسطينية،بيروت،ط1، 1998، ص36.

27 - الحسن بن محمد البوريني، تراجم الأعيان من أبناء الزمان، تحقيق: د.صلاح الدين المنجد، ج2، دمشق 1959، 1966، ج2، ص273 ؛ محمد الأمين المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، 4 ج، القاهرة (1284هـ /1869م)، ج1، ص221.

28 - عبد الله، كلبونة. تاريخ مدينة نابلس2500-ق.م1918-م،،نابلس،ط1، 1992، ص72.

29 - بشارة ، دوماني. إعادة اكتشاف فلسطين(أهالي جبل نابلس 1900-1700)، مؤسسة الدراسات الفلسطينية،بيروت،ط1، 1998، ص36.

30 -قرشا: وهو القرش العددي وهي من العملات التي كانت تستخدم في فلسطين، وكان يساوي في نابلس 30 قطعة مصرية.غنايم، زهير. جباية الرسوم والضرائب من الأراضي الزراعية في فلسطين في ظل نظام التيمار(الالتزام) والتأجير، المؤتمر الدولي التاسع لتاريخ بلاد الشام، 14-10 جمادى الأولى/ 1 5- نيسان 2012، ص21.

في ولاية نابلس والقدس وقد أنعم عليه الصدر الأعظم حسين باشا بتوليته أميراً على لواء نابلس والقدس وقد عزل مرات عدة وعين مكانة مصطفى بك سنة(1031 هـ /1622م)، وعاد محمد في السنة التي تليها، ومن الجدير ذكره سنجق أو ولاية نابلس واللجون كانتا في أغلب الأحيان تناط بهما إمارة الحج، وكان يعين أميرا للحج من ذلك السنجقين([31]).

31 -المحبي، محمد أمين(ت1111/1699م)، خلاصة الأثر... مرجع سابق ،القاهرة، ط1، ج3، 1966،ص271.

حكام متسلمية نابلس([32]).

حكام متسلمية نابلس	من	إلى
الشيخ سليمان المشاقي	أواخر القرن السابع عشر	أوائل القرن الثامن عشر
على أغا جوربجي النمر	من العشرينات الثامن عشر	1150 هـ /1737م
محمد أغا جوربجي النمر	1150 هـ /1737م	1170 هـ /1756م
عمر أغا النمر	1170 هـ /1756م	1177 هـ /1763م
مصطفى باشا طوقان	1177 هـ /1763م	1189 هـ /1775م
الشيخ يوسف الجرار	1189 هـ /1775م	1204 هـ /1790م
أسعد بك طوقان	1204 هـ /1790م	1205 هـ /1791م
إبراهيم باشا النمر	1205 هـ /1971م	1213 هـ /1798م
أحمد بك طوقان	1213 هـ / 1798م	1214 هـ /1799م
خليل بك طوقان	1214 هـ /1799م	1216 هـ /1801م
الشيخ يوسف الجرار	1216 هـ /1801م	1217 هـ /1802م
موسى بك طوقان	1217 هـ /1802م	1219 هـ /1804م
الشيخ يوسف أحمد الجرار	1219 هـ /1804م	1220 هـ /1805م
الشيخ يوسف الجرار	1220 هـ /1805م	1222 هـ /1807م
أحمد يوسف الجرار	1220 هـ /1807م	1223 هـ /1808م
موسى بك طوقان	1223 هـ /1809م	1226 هـ /1811م
أحمد أغا يوسف الجرار	1226 هـ /1811م	1232 هـ /1818م
موسى بك طوقان	1232 هـ /1816م	1234 هـ /1818م
مصطفى بك طوقان	1234 هـ /1818م	1235 هـ /1819م
أحمد أغا يوسف الجرار	1235 هـ /1819م	1236 هـ /1820م
مصطفى بك طوقان	1236 هـ /1820م	1238 هـ /1822م
الحاج حسن أغا(تركي)	1238 هـ /1822م	1239 هـ /1823م
أحمد أغا(تركي)	1239 هـ /1823م	1241 هـ /1825م
أسعد بك طوقان	1241 هـ /1825م	1242 هـ /1826م
السلحدار خور رشيد أغا(تركي)	1242 هـ /1226م	1243 هـ /1827م
مصطفى أغا(تركي)	1243 هـ /1827م	1244 هـ /1828م
الشيخ عبد الله يوسف الجرار	1244 هـ /1828 م	1245 هـ /1829م
مصطفى بك طوقان	1245 هـ /1829م	1246 هـ /1830م
الشيخ عبد الله يوسف الجرار	1246 هـ /1830م	1247 هـ /1831م

32 -حسني أدهم جرار، المعارك التاريخية على أرض الشام (جبل النار تاريخ وجهاد)1900-1700، ص70.

الشيخ محمد القاسم	1247 هـ /1831م	1249 هـ /1833م
الشيخ سليمان عبد الهادي	1249 هـ /1833م	1256 هـ /1840م
الشيخ صادق الريان الجماعينى	1256 هـ /1840م	1256 هـ /1840م
الشيخ سليمان عبد الهادي	1256 هـ /1840م	1257 هـ /1841م
محمد أفندي عبد الهادي	1257 هـ /1841م	1262 هـ /1845م
حاكم تركي	1262 هـ /1845م	1264 هـ /1847م
سليمان بك طوقان	1264 هـ /1847م	1268 هـ /1851م
محمود بك عبد الهادي	1268 هـ /1851م	1269 هـ /1852م
أمين بك(تركي)	1269 هـ /1852م	1270 هـ /1853م
على بك طوقان	1270 هـ /1853م	1271 هـ /1854م
مصطفى حمدي بك(تركي)	1271 هـ /1854م	1272 هـ /1855م
محمود بك عبد الهادي	1272 هـ /1855م	1275 هـ /1858م
حكام من خارج جبل نابلس	1858م	1900م

بعد وفاة الأمير محمد بن فروخ تعاقب على تولية إمارة الحج والمتسلمية مصطفى بك بن الامير بهرام الفقاري، حيث دفن في الجهة الشمالية من المسجد الصلاحي الكبير وسط مدينة نابلس: حيث يوجد على شاهد القبر العبارات التالية([33]):

1: هذا قبر المرحوم

2:مصطفى بيك([34]) الفقاري

3:عليه رحمة الباري عُمر

4: بإشارة من رضوان([35]) بيك أمير

5: الركب المصري([36]) في ربيع

6: الأول سنة 1051 من محمد حبيب.

---

33 - شامخ ،زكريا علاونه. النقوش المملوكية والعثمانية في لواء نابلس. دراسة تاريخي، 1998، جامعة القدس، رسالة ماجستير غير مطبوعة.

34 -بيك: بك ويقال بيك وهي كلمة فارسية تعني الخادم أو السائر في الأطراف، وكان صنف من مشاة البريد في الدولة العثمانية، يعرفون بسرعة جريهم في توصيل الأخبار ولا سيما في تبليغ الأوامر السلطانية إلى الأطراف، ثم أصبحوا بملابسهم المطرزة المزينة والفخمة مشاركين فقط في الحفلات والمناسبات الرسمية، وكانوا يعرفون بقلة الأكل وسرعة الحركة. سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1421 هـ/2000م، ص 70

35 -رضوان بيك: مملوك كرجي الأصل المؤسس الفعلي للطائفة الفقارية والطائفة الفقارية تميزت باللباس الأبيض، وقد إشتهرتا في مصر منذ الربع الاول من القرن السالع عشر،تولى إمارة الركب المصري وإمارة غزة سنة (1053/1643م)؛ رافق، عبد الكريم. العرب والعثمانيون...مرجع سابق، ص 167؛ المحبي، محمد أمين. خلاصة الأثر ...مرجع سابق ،ج2، ص87

36 -الركب المصري: نود الإشارة إلى انه كان سنوياً يتوجت إلى الديار الحجازية أربعة مواكب حج، الاول الركب الشامي ، والمصري ، والعراقي واليمني، وكان الركب المصري يمر من مدينة غزة ومن ثم مدينة العقبة ومنها إلى الجزيرة العربية؛ أنظر : عبد الكريم، رافق. العرب والعثمانيون...مرجع سابق، خريطة الركب المصري، ص605.

بعد تولية الفقاريين إمارة الحج الشامي؛ عاد الأمر لآل فروخ وخاصة علي فتولى إمارة نابلس والحج سنة(1063/1652م)؛ فيظهر أن رضي الله العثمانية أولاً وقوة العائلات ثانياً هو الذي تحدد من خلاله تولية إمارة الحج بغض النظر عن طبيعة العلاقة الجيدة او المتردية مع تلك العائلة أو غيرها من العائلات، ففي سنة (1065/1654م)؛ تم لآل فروخ الأمر بإستعادة زعامة نابلس وبالتالي إمارة الحج، وفي سنة (1066/1657م) ([37]). حاول الأمير عساف بن محمد إستعادة نابلس ولكن إمارة نابلس تم توليتها للأمير حسن باشا التركماني، وتم تعويض الأمير عساف بإمارة لواء عجلون، وقد حاول الأمير عساف استرجاع إمارة نابلس وذهب إلى تركيا(1067/1685) ولكنه توفي في مدينة قونية وبهذا العام انتهى حكم آل فروخ آخر الحكام المماليك للواء وكأمراء للحج والمتسلمية في مدينة نابلس، وتناوب على حكم اللواء عائلات محلية عربية ليست مملوكية الأصل والتي ظهرت على المسرح السياسي في مدينة نابلس ومنها عائلة النمر التي تولت متسلمية نابلس مباشرة بعد انتهاء حكم آل فروخ في المدينة ([38]).

على الرغم من الضعف العام الذي أصاب جسم الدولة العثمانية في القرن السابع عشر،فقد حاول السلطان مراد الرابع(1623م/1640م)، والوزير الأعظم محمد باشا كوبريلي من رفع شأن الدولة، وضبط الأمن والجند في جسم الدولة العثمانية، وحاولت السلطة العثمانية تأمين سلامة القافلة إلى مكة، حيث تعرضت في الآونة الأخيرة لسلسلة إعتداءات من البدو، لذا قررت السلطة العثمانية نقل إمارة الحج من نابلس وأصبحت هذه المهمة بيد ولاة دمشق منذ سنة 1671م وفي فترة والي دمشق نصوع باشا(1120/1708-1709/1726م)، أصبح أمير قافلة الحج التي أعطي إمارتها إلى جانب منصبه كوالي الشام إلا ان السلطان العثماني أمر بتصفيته لكي لا يستمر نفوذه على حساب الدةل العثمانية ويعلن تمرده عليها([39]).

الأسباب وراء إنتقال إمارة الحج من نابلس إلى ولاة الشام؟

من جملة الأسباب التطورات التي أتت إلى تناقض الأمراء المحليين، في ولايات الشام كأمراء للحج، أدى ذلك إلى تعيين إنكشارية دمشق في هذا المنصب، ونظراً لضعف نفوذ الانكشارية بعد 1660م، فقد تم تعيين موظفين عثمانيين إلى جانب بقايا الأمراء المحليين وزعماء الإنكشارية لإمارة الحج، وزاد تعيين هؤلاء الموظفين بالتدرج، بسبب تزايد ضعف الفريقين الأخرين، وقد نتج عن هذا التنوع في مسؤولية إمارة الحج إلى عدم بناء علاقة ثابتة مع البدو، مما دفع هولاء إلى مهاجمة قافلة الحج أكثر من مرة ،حيث أن الجنود العثمانيين المعينين لمدة موسم واحد امتنعوا عن دفع الصرة وكذلك عين أمراء الحج في تلك الفترة على أكثر من سنجق وتشعبت مهامهم، وبالتالي عدم الإكتراث بقافلة الحج كما ينبغي؛ وفي بعض الأوقات لم يعين حكام الصناحق أمراء للحج ،حيث أقاموا في المدن وقاسي الأهالي من تصرفات جند حكام السناجق، حيث طلب أهالي دمشق بعودة غمارة الحج إلى حكام القدس وعجلون نظراً لمعاناة سكان دمشق من جند حكام السناجق أو امراء الحج، حيث تولى إمارة الحج على الأقل في دمشق في تلك الفترة ثمانية ولاة كأمراء للحج([40]).

37 - عبد الله، كلبونة. تاريخ مدينة نابلس...مرجع سابق، ص 74.

38 -المحبي، محمد أمين. خلاصة الأثر...مرجع سابق، ج4،ص108.

39 - عبد الكريم، رافق. العرب والعثمانيون...مرجع سابق،ص195.

40 - عبد الكريم، رافق . العرب والعثمانيون...مرجع سابق،204

وقد نتج عن تعيين ولاة الشام أمراء للحج تغيبهم عن المدينة لأكثر من ثلاثة أو أربعة أشهر، هذا بالإضافة إلى أن أمراء السناجق كنابلس وعجلون كانوا ينفقون على قافلة الحج من إيرادات سناجقهم ولايكلفون ولاية دمشق بهذا العبء؛ ولكن على الرغم من العبء الثقيل على ولاة دمشق من هذه الوظيفة، إلا أنهم استفادوا لا من هذه الإمارة ببقائهم في وظائفهم فترة طويلة، وكذلك من المكانة الدينية التي تمتعوا بها من الناحية الدينية، وبالإضافة إلى الناحية التجارية التي كانوا يمارسونها من خلال قافلة الحج من تأمين لوازم الحجاج من التجار الذين تربطهم معهم علاقات مصاهرة او عائلية أو مصالح تجارية فبالتالي أمير الحج كان والياً ذا منصب سياسي مرموق وتاجراً من خلال ما سبق ذكرة، وذا مكانة إجتماعية من خلال نظرة الناس أو العامة لمن يؤمن لهم سلامة تأدية ركن من أركان الإسلام ([41]).

لم تسعفنا المصادر التاريخية خاصة سجلات المحكمة الشرعية بالمبالغ التي كان يدفعها الحجاج لقاء انضمامهم لركب الحاج الشامي، وكيف كانت تتم عملية تسجيل الحجاج، هل هي عن طريق اختيار من لديهم قدرة مالية بتكفل نفقات الطعام والسفر والنقل وأجرة الجمال أم حسب كل منطقة، أم الدولة هي التي كانت تؤمن الجمال والعمال، حيث نعلم أن الركب العام من إختصاص الدولة أما المصاريف الشخصية كالطعام والاحتياجات الأخرة على نفقة الحاج ذاتة؟.

يتبين من المصادر التاريخية ومع بداية النصف الأول من القرن الثامن عشر، والإصلاحات التي قامت بها الدولة العثمانية على نظام الإقطاع ليشمل كافة أنواع الأراضي وبالتالي الأمور المرتبطة بها وتحويله إلى نظام إلتزام، أعادت الدولة العثمانية مرة أخرى ولكن ليس بشكل نهائي إمارة الحج للحكام المحليين كأمراء للحج، ولكن مع بعض الجنود السباهية لذلك نجد مدينة نابلس مرة أخرى تتصدر هذه المهمة، ويلاحظ انه تم تقسيم اللواء إلى إقطاعات عسكرية للملتزمين الأتراك مقابل تامين القافلة من الجنود العسكريين وخدمات اخرى عسكرية يقدمونها للدولة العثمانية في حال وقوع إضطرابات أو ثورات او فتن أو حروب خاجية في الدولة العثمانية، وبالتالي توزع هذه الإقطاعات حسب رتبة الجندي السباهي في الجيش حيث كانت الأراضي في الدولة العثمانية تقسم إلى الأقسام التالية:

41 - عبد الكريم، رافق. العرب والعثمانيون...مرجع سابق،ص204

الأراضي الإقطاعية:

1. التيمار([42]): ويعد أقل أو أصغر مستويات الإقطاع العثماني، دخله السنوي يبلغ ما بين(3000 -19000)، أقجة وقد يبلغ أو يصل إلى مستويات أدنى من ذلك ليصل دخل التيمار الواحد إلى(2000) أقجة([43])، والتيمار يعني الأراضي التي تقتطع للجند مقابل الخدامات التي يقدمونها للدولة ([44]). وتفيد بعض المصادر التاريخية أن هذا النوع من الإقطاعات كان منتشراً في الدولة العثمانية بشكل كبير جداً([45]).
2. الزعامت كنظام إقطاعي يأتي في المرتبة الثانية بعد التيمار، ويبلغ دخل هذا الإقطاع(99000-19000) ([46]) أقجة، وكان يمنح هذا الإقطاع للجنود السباهية([47])، وقد ذكرت بعض المراجع أنه وجد في نابلس زعامت كان محلية وليست من الجنود السباهية([48]) وهي من العائلات المتنفذة في مدينة نابلس وخاصة آل النمر وطوقان وعبد الهادي([49]).
3. الخاص وتعني الإقطاعات الخاصة بالسلطان وعائلته ووزرائه وقادة الجيش في الدولة، وهي من أجود وأفضل الأراضي الزراعية من حيث خصوبتها،ويصل دخلها إلى (100000-99000) أقجة كما ألحق ببعض المناصب الإدارية لينفق أصحاب هذه المناصب من وارداته، وفي عهد السلطان سليمان القانوني احتكرت السلطة حق منح الإقطاعات إلا في حالات قليلة ([50]).
4. الملكانة: وهي الإقطاعات التي صدرت براءات منحها عن السدة السلطانية أو من ينوب عنها في دمشق وعكا بصيغة تفيد التمليك، أو تجديد براءات التيمارجية والزعماء والملتزمين باستمرار،إلى أن رسخت أقدامهم فيها وغدت ملكانة للمقطع وذويه من بعده، ومن الأمثلة على ذلك براءة إقطاع دزدار في القدس والخليل وغيرها من المدن الفلسطينية([51]).

ومع كل هذه التعقيدات عينت الدولة العثمانية أو وآلي الشام شيوخ النواحي في الريف الفلسطيني، حيث نجد في بعض الحجج الشرعية في محكمة نابلس الشرعية ما يفيد أن والي الشام خصص عباءة لشيخ قرية .....لقاء قيامة بتحصيل ضرائب مال الميري من الفلاحين وقت وايفادها للمباشر أو المحصل لغاية

---

42 - كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب العربية، ط5، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1968،ص 458.

43 - الأقجة: وحدة نقد تركية؛ ضربت لأول مرة في عهد السلطان أورخان في مدينة بورصة عام (729 هـ1328-م)، وتزن ربع مثقال ، ويزن المثقال (4,220غم) أنظر: فانتر هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل جميل العسلي، ط2، منشورات الجامعة الأردنية، 1970، ص9.

44 - سلطان علي ، تاريخ الدولة العثمانية، مكتبة طرابلس العلمية، طرابلس،د.ت، ص182.

45 - أسد رستم، ، الأصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد علي، منشورات كلية العلوم والآداب، الجامعة الأمريكية بيروت،لبنان، 1930م، ص36.

46 - محمد عدنان البخيت و نوفان الحمود، دفتر مفصل لواء عجلون،(طابوا دفتري رقم 185)، الجامعة الأردنية، عمان،1991،ص 16.

47 - السباهية الجنود الفرسان الذين تم منحهم إقطاعات محددة مقابل تقديم فارس مجهز للحرب مقابل 3000 أقجة من دخل الزعامت أو الإقطاع السنوي، وهم من أقدم أنواع الجنود في الدولة العثمانية، كان لهم مصلحة في دوام الاقطاعات وهم خليط من الأجناس من أتراك وعرب وأكراد، كان يرأسهم ضابط برتبة ألآي بك؛ عبد الكريم رافق ، العرب والعثمانيون ، ص 47.

48 - محمد عيسى صالحية ، سجل أراضي ألوية (صفد، نابلس،غزة، وقضاء الرملة)، ط1، جامعة عمان الأهلية، 1999،عمان، ص27.

49 - إحسان النمر ، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، 4ج، جمعية عمال المطابع التعاونية، نابلس، 1975، ، ج2، ص223.

50 - عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون، ص 46.

51 - أمين مسعود أبو بكر ، ملكية الأراضي، ، ص 208.

قافلة الحج([52]).وللحؤول دون تمكن أصحاب الإقطاعات من إقامة قواعد سلطة مستقلة، بعثرت الحكومة العثمانية الأراضي والقرى التابعة كل صاحب تيمار في مناطق جبل نابلس منفصلة ومتباعدة، وجعلت كل قرية كبيرة زعامة تيماراً قائماً بذاتة وأقتطعته لإقطاعي آخر حيث نجد في سجلات محكمة نابلس الشرعية أمثلة كثيرة على ذلك ومنها([53]):

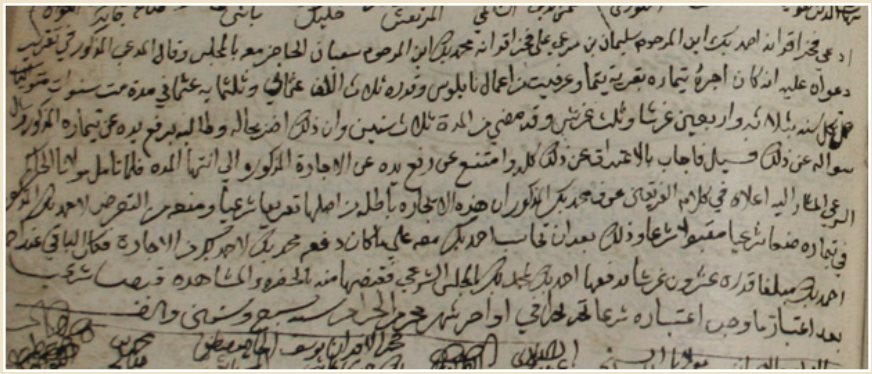

مضمون الحجة: أو نصها:

أدعى فخر أقرانه أحمد بك ابن المرحوم سليمان بن مرعي علي فخر أقرانه محمد بك بن المرحوم سفيان الحاضر معه بالمجلس الشرعي، وقال المدعي المذكور في تقرير دعواه عليه أنه كان أجرة تيماره بقرية بقرية وعرفت من اعمال نابلوس وقدره ثلاثة آلاف عثماني، وثلثماية عثماني، في مدة ست سنوات متواليات في كل سنة بثلاثة وأربعين قرشاً وثلث قرش، وقد مضى من المدة ثلاث سنين وان ذلك أضر بحاله وطالبه برفع يده عن تيماره المذكور وسال سؤاله عن ذلك فسيل فأجاب بالإعتراف عن ذلك كله وامتنع عن رفع يده عن الغجارة المذكور إلى انتهاء المدة فلما تأمل مولانا الحاكم الشرعي المشار إليه أعلاه في كلام الفريقين عرف محمد المذكر أن هذه الإجارة باطلة من أصلها تعريفاً شرعياً ومنعه من التعرض لأحمد بك المذكور في تيماره منعاً شرعياً مقبولاً شرعاً وذلك بعد ان تحاسب أحمد بك على ما كان دفعه محمد بك لأحمد بيك في الإجارة فكان الباقي عند أحمد بك مبلغاً وقدره عشرون غرشاً يدفعها أحمد بك لمحمد بك في المجلس الشرعي فقبضها منه بالحضرة والمشاهدة قبضاً شرعياً بعد اعتبار ما وجب اعتباره شرعاً تحرر في أواخر شهر محرم من سنة سبع وستين وألف.

إمضاء الشهود:

يتبين من نص الحجة وإن كان مضمونها رفع دعوى شرعية على تخاصم على أجرة التيمار وهو كما أسلفنا سابقاً من أنواع الأراضي التي كانت تمنح للجنود مقابل خدماتهم العسكرية وسجلات محكمة نابلس الشرعية التي استطعت الحصول عليها مصورة تحتوي على مئات الأمثلة على أنواع الإقطاعات التي توزعت في ريف نابلس على الجنود السباهية ومن ثم آلت اليهم كأملاك خاصة تم تسجليها لأبنائهم فيما بعد.

52سجل محكمة نابلس الشرعية، سجل 1،(لسنة1066).

53 سجل محكمة نابلس الشرعية، سجل 1، حجة 3(لسنة1066)، ص 84.

سجل محكمة نابلس الشرعية، سجل 1، حجة 1(لسنة1066)، ص 130.

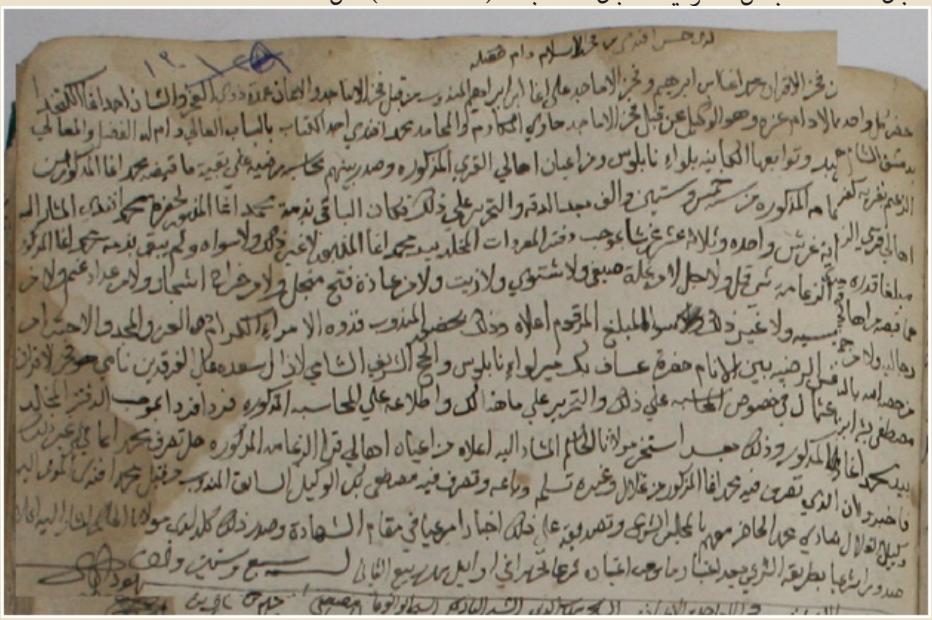

مضمون الحجة:محاسبة بين صاحب زعامة قرية كفر اللبد ووكيلة وملتزم القرية محمد أغا.

وقبيل ظهور آل النمر وطوقان على المسرح السياسي في جبل نابلس، ظهر آل المشاقي ولكنهم لم يتولوا إمارة الحج وانما كانوا شيوخ نواحي وملتزمين، تشير المراجع التاريخية وبعض الشواهد المادية التي لا زالت باقية والتي تعتبر دليلاً على زعامة آل المشاقي كملتزمين لجبل نابلس، وكان مركزهم قرية ياصيد([54])،وكانوا ملتزمين لعدة قرى مجاورة، ولا زالت بعض قصورهم في القرية، وكذلك المسجد القديم الذي وجد عليه النقش التالي المكون من خمسة أسطر:

بسم الله الرحمن الرحيم، إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله

واليوم الآخر، جدد هذا المسجد المبارك ووقفه لوجه الله تعالى

طلباً في ثوابه الجزيل يوم يجزى الله المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين

54 - قرية ياصيد تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة نابلس وتبعد عنها 15كم، تقوم على جبل مرتفع(2240) قدماً.محمد محمد شُراب، معجم بلدان فلسطين، 1987، ص725.

الجناب([55]) العالي المولوي[56] الشمسي محمد بن سليمان بن مشاق الله أثابه الله بتاريخ العشر الآخر من جمادى الآخرة سنة عشرين وثمان ماية أحسن الله وقفنا([57]).

وبسبب الصراع ما بين العائلات التقليدية لمشيخة وإلتزام جبل نابلس والمناطق المجاورة فقد انتهى حكم المشاقي كملتزمين وذلك باتفاق الشيخ محمد الزبن الجرار والشيخ محمد أغا النمر وقضوا على حكم آل مشاق في منطقة جبل نابلس([58]). وهناك عدد كبير من الروايات الشعبية التي تتحدث عن ظلم آل مشاق للقرى المجاورة والضريبة التي كانت تأخذ من المزارعين.وعلى النقيض من الظلم الذي مارسه آل المشاقي نجد في بعض المصادر بعض الوقفيات التي تتحدث عن بعض شيوخ المشاقي الذين كانوا يوزعون ويوقفون بعض الأملاك على المسجد الكبير في مدينة نابلس([59]).

كان آل النمر في أواخر القرن السابع عشر وفي القرن الثامن عشر أمراء ألآي السباهية، وكان منهم الأمير يوسف جوربجي الذي توفي سنة(1068 هـ/1685)، وتولى السباهية بعده أكبر أبنائه، علي أغا جوربجي، ثم صار متسلماً على نابلس، وتوفي سنة (1150 هـ/1737)، وتولى السباهية بعده أبنه محمد أغا جوربجي، الذي أختاره أمراء السباهية أميراً لألآي نابلس وتوفي سنة(1169 هـ / 1756م)، ومن ثم جاء بعده عمر أغا النمر الذي ظل متسلماً لنابلس إلى أن مات سنة(1177 هـ /1763م)([60]).

الصراع بين آل النمر وطوقان على متسلمية نابلس حيث برز آل طوقان القادمون أصلاً من شمال سوريا، فقد برزوا منافسين أقوياءلآل النمر في بداية القرن الثامن عشر تقريباً، وكانوا العائلة الوحيدة التي كادت تُمركز جبل نابلس بأسره تحت حكمها وقد تسلمو متسلمية نابلس فترة طويلة([61]) أنظر جدول حكام متسلمية نابلس ص10 من هذا البحث، وكان أبرزهم صالح باشا طوقان، فقد بدأ حياته بالخدمة العسكرية المكلفة بحماية قافلة الحج، وفي سنة 1709م، عُين متسلماً للقدس، ثم شغل منصب لواء طرابزون في البحر الأسود، ثم عاد إلى جبل نابلس في سنة 1723؛ ([62])، وكذلك مصطفى بك طوقان الذي اشتهر برده لهجوم ظاهر العمر على نابلس(1185/1771م)([63]) ونتيجة لذلك قوبل هذا العمل من قبل

55 - الجناب لغةً تأتي بمعنى الناحية، وإصطلاحاً تعتبر من أرفع الألقاب الإسلامية بالنسبة لطبقة القضاة والعلماء، وأول ذكر لكلمة جناب في التاريخ الإسلامي في العصر السلجوقي ثم الفترة الأيوبية والمملوكية، وكانت مرتبة الجناب تعلو مرتبة المجلس؛ الباشا، حسن، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، مكتبة النهضة المصرية، ط1، 1957، القاهرة؛ ابن تغربردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغربردي الاتابكي(ت874 هـ /1469)، النجوم الزاهرة في سيرة ملوك مصر والقاهرة،دار الكتب المصرية، 1992، ج7،القاهرة،ص680.

56-المولوي: نسبة إلى إحدى الطرق الصوفية التي كانت منتشرة في المدن الفلسطينية خاصة في مدينة القدس ونابلس ومؤسس هذه الطريقة هو الشيخ جلال الدين الرومي(ت1273م)، وتعدّ هذه الطريقة من أهم الطرق التي نشأت وترعرعت في ظل الحكم العثماني حيث لاقت دعماً رسمياً وشعبياً جعلها من أوائل الطرق الصوفية في هذا العصر، فقد كان لها موعدا للسماع داخل القصر السلطاني في كل شهر (أمين: د:ت)، كما أن الدولة قدمت لهم مساعدات مالية كثيرة من الصرة الرومية ،ومن مال ولاية دمشق وخصص لهم طعام من طعام العمارة العامرة(وقفية خاصكي سلطان: مركز إحياء التراث، القدس). وكان الجيش العثماني يرافقه في حملات الحرب الكبيرة والصغيرة دراويش المولوية وشيخهم، فعندما توجه حاكم القدس إلى قتال الخارجين في ناحية الخليل كان من بين حاشيته شيخ الطريقة المولوية في القدس الشريف: أنظر. أكمل الدين إحسان أوغلي، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ج2، نقله إلى العربية، صالح سعداوى، استانبول، 1999م، ص 179.

57- شامخ زكريا علاونه، النقوش المملوكية والعثمانية في لواء نابلس. (دراسة تاريخية) ، جامعة القدس،1998. ص 54.

58- إحسان النمر، تاريخ جبل نابلس ، ج1، ص124.

59 - محمد عيسى صالحية، سجل أراضي ألوية (صفد، نابلس، غزة، وقضاء الرملة)، حسب تاريخ الدفتر رقم 312، تاريخة964 هـ/1556م، جامعة عمان الأهلية، ط1، 1999م، عمان، 185.

60- إحسان النمر، ، تاريخ جبل نابلس، ، ج1، ص110-108.

61 -أنظر جدول حكام متسلمية نابلس ص

62 ا-لعباسي مصطفى . تاريخ آل طوقان في جبل نابلس، مرج سابق، ص59

63 -توفيق، المحامي. ظاهر العمر ، ط2، 1990، مطبعة أوفست الناصر، ص 160.

السلطان العثماني بمكافأة مصطفى بك طوقان بأن حصل على تولية ولاية يافا والقدس وغزه والرملة ونابلس، لذلك أشعل هذا الشئ آل النمر وتحالفوا مع آل جرار ضد آل طوقان.ولمزيد من المعلوما حول الصراع العائلي في نابلس أنظر المراجع التالية([64]).

تشير المصادر التاريخية أن دور مدينة نابلس في القرن الثامن عشر لم يكن كسابق عهده بتولية إمارة الحج بشكل فعلي، فقد أصبحت المهمة لأمراء الجند فهم مسؤلون عن حماية الركب كالجنود السباهية من خلال إقطاعاتهم التي كانت كفيلة بتغطية جزء كبير من مصاريف الحج وتسير القافلة بشكل سنوى ولكن تحت إشراف ولاة الشام مباشرة. لذلك كلما انتزعت إمارة الحج من حكام نابلس على ما يبدو كان التأثير أيضاً إقتصادياً، إذا لا يمكن أن يفرض متسلم نابلس أن يتم شراء جرار الفخار للماء من نفس المدينة وبالتالي تنتقل مهمة التموين إلى دمشق مباشرة ويكون النشاط الاقتصادي في دمشق أكثر من نابلس وغيره من المدن.

التحضيرات والإجراءات لقافلة الحج الشامي

الدورة: هي جولة تفتيشية يقوم بها الوالي أو من ينوب عنه مع بعض جنوده في أواخر رجب أو في أوائل شعبان لجمع المال من سكان المناطق الجنوبية من الولاية ليستعين بهذه الأموال في إعداد قافلة الحج والمحمل، ثم يعود إلى دمشق في أوائل شوال.

الصرة: في منتصف شهر رمضان أو الأسبوع الثالث منه يصل ركب (الصرة أميني) أو أمين الصرة من استانبول، وهي المال الذي ترسله الدولة العثمانية لأشراف الحجاز ولرؤساء القبائل المرابطة في طريق الحج. وتتضمن الصرة أيضاً التي تدعى (الصرة السلطانية) والتي تُجهز بدمشق زيوتا وشموعا وماء الورد والزهر التي ترسل لغسل الكعبة والحجرة النبوية.

المحمل الشريف: كان تجهيز المحمل وانطلاقه من دمشق يبدأ من عيد الفطر ويستغرق الاحتفال بتجهيزه ثلاثة أيام. وفي اليوم الأول يبدأ العمل بإخراج السنجق وهو عبارة عن قطعة من القماش المتين زهري اللون، وقد كتب عليه بالخيوط الذهبية الآيات القرآنية ويمر بحي الميدان، وفي اليوم الثاني تحتفل الهيئات الدينية والشعبية بأجمعها مع البشوات ومشايخ الطرق، ويجمعون كميات كبيرة من الشموع والزيوت وفي اليوم الثالث تشترك الحكومة المحلية بصورة رسمية، فيحضر المشير والوالي وكبار الضباط والعلماء والموظفون ومشايخ الطرق لوداع المحمل الشريف، الذي يحمله جمل عظيم في ضخامته ونظافته.

أما الكسوة الشريفة فقد كانت تصنع من قِبل صنّاع مهرة يقيمون بدمشق ويتقاضون رواتبهم من الدولة.

الجردة: تختار الدولة العثمانية أحد وزرائها أو أحد ولاتها ويدعى (سردار الجردة) لإعداد قافلة الجردة، وهي قافلة مؤن تُعد لإسعاف الحجاج في طريق عودتهم إلى بلاد الشام خشية أن يكون ما عندهم منها قد نفد، ويصحب الجردة عدد من الجند لحراستها.

الجوخدار: هو أحد رجال أمير الحج ويُعرف بالجوقدار أو الجوخدار يسبق قوافل الحجاج إلى دمشق ليبشر أهلها بسلامة القافلة إذا عادت سالمة، أو يطلب إليهم النجدة إذا تعرضت للعدوان وهو ينفصل عن الركب في تبوك باتجاه دمشق في حراسة بعض الجنود متقدماً القافلة بسبعة أيام وفي إثر الجوخدار يكون

64 - عبد، الكريم رافق. العرب والعثمتنيون، مرجع سابق، النمر، إحسان. تاريخ جبل نابلس والبلقاء، العبلسي ،مصطفى. تاريخ آل طوقان في جبل نابلس مرجع سابق أيضاً، كلبونة، عبد الله. تاريخ مدينة نابلس، السامري ، الدنفي. ظاهر العمر وحكام جبل نابلس.

الكَتَّاب - وهو شخص يكلفه أمير الحج - ليحمل كتب الحجاج إلى ذويهم فيصل إلى دمشق بعد الجوخدار بثلاثة أيام وقد يكون لدمشق ولكل من حماه وحلب كَتَّاب آخر. وفي إثر الكَتَّاب بعد يومين أو ثلاثة يبدأ وصول الحجاج إلى دمشق فيصلونها بين 2 و 5 صفر ويستمر دخولهم إلى المدينة نحو خمسة أيام، وفي إثرهم يدخل أمير الحج وسردار الجردة.

خاتمة البحث:

مما لا شلك فيه أن مدينة نابلس كانت مركزاً تجارياً وصناعياً في الفترة العثمانية؛ حيث أفادت ركب الحجاج الشامي من خلال تسلم حكامها من الأسر المملوكية ومن أبنائها العرب سواء كانوا من شمال سوريا او من شرق الأردن أو من سكانها الأصليين لإمارة الحج، وبالتالي فقد أنعكس هذا المنصب على الوضع الاقتصادي في مدينة نابلس من خلال أمراء الأراضي الميرية حيث جهزوا قوافل الحج بالفرق العسكرية من الريف الفلسطيني الذين كانوا يعملون لدى الأمراء الاقطاعيين المحليين أو أمراء جنود السباهية في الريف الفلسطيني.

على المستوى المعماري فقد تبين أن مدينة نابلس أصبحت بحاجة إلى أماكن للحجاج لم يؤم المدينة أثناء عودنهم من تأدية الركن الخامس من أركان الإسلام؛ وبالتالي فقد أنشئ في المدين عدد من الخانات أو الفنادق أو الوكالات وما عرف حسب المصادر التاريخية الوكالة الفروخية في مدينة نابلس وغيرها من الوكالات المندرسة التي لم تسعفنا المصادر التاريخية في الحديث عنها. وكذلك زيادة في عدد الحمامات العامة في المدينة وهذا ما يفسر وجود عدد لا بأس به من الحمامات في المدينة لا يوجد في غيره من المدن التاريخية الفلسطينية .

أما على المستوى الصناعي فقد كانت مدينة نابلس عندما تكون إمارة الحج بيد أمرائها فقد كانت صناعة « قرب» الفخار والجلود التي تحمل بها المياة للحجاج تصنع في مدينة نابلس وقد أفادتنا سجلات المحكمة الشرعية في كثير من حججها بعدد كبير من الفواخير التي كانت في المدينة بحيث لا تكاد تماثلها أية مدينة أخرى في هذه الصناعة، أضف إلى ذلك صناعة الصابون كذلك الأمر فمدينة نابلس لا زالت تشتهر بصناعة الصابون التي كان الحجاج لا يستغنون عنه في طريق ذهابهم وعودتهم حيث أفادت السجلات أن موسم الحاج كان الطلب يزيد على هذه السلعة أكثر من أية فترة أخرى من السنة،كذلك صناعة جلود الحيوانات التي كانت تستخدم في حمل الماء حتى الوصول إلى أماكن البرك والآبار التي أسستها الدولة العثمانية على طول طريق الحج.

موسم الحج كان موسماً تجارياً بالنسبة لمدينة نابلس إذا كان موسماً لتسويق بعض الصناعات التقليدية النابلسية إلى الديار الحجازية وبالعكس فكان يأتى بالحرير وأفخر أنواع القماش من الحجاج الذين جاءوا من بلاد فارس والمناطق الشرقية من شمال وجنوب آسيا وينتهي المطاف بها في مدينة نابلس لتباع يتم تسويقها في الأسواق النابلسية.

ومن خلال هذا المنطلق فقد استطاعت مدينة نابلس استرداد ما ترتب عليها من مال الجردة الذي كان يتم تحصيله من المزارعين في أرياف مدينة نابلس عن طريق الأعمال التجارية التي كانت تمارس بطريقة مباشرة أو بطريقة غير مباشرة من خلال الحجاج أنفسهم. وبالتالي هذه الإمارة « إمارة الركب» ساهمت في زيادة عدد سكان مدينة نابلس أكثر من غيرها من المدن الفلسطينية من خلال النشاط التجاري الذي تواجد فيها طلية السنة تقريباً بفعل هذا العامل.

كما كان لإمارة الحج كثير من الإيجابيات ووجدت بعض السلبيات لهذه الإمارة المساهمة في تدهور وضع الريف من خلال تحملهم مسؤولية الأموال التي يجب أن توفر لمصاريف الحجاج، وكذلك تحملهم مصاريف الوالي أو من ينوب عنه أثناء قيامة بما يعرف بالدورة هو وجنوده ، حيث كان يتم طرده

للأهالي والتمتع بالعيش في بيوتهم لأيام محددة ويأكل ما لذ وطاب على حسابهم كونه يقوم بمهمة دينية وعسكرية في آن واحد.

لقد كانت إمارة الحج في لواء أو سنجق نابلس كانت محل صراع تقليدي بين العائلات الفلسطينية المحلية، ومصدر صراع وتنافس بين هذه العائلات وولاة دمشق، إذ كان لا يروق لبعض الولاة في دمشق أو غيرها من ولايات الدولة أن تكون الإمارة بيد عائلة أو شخص معين وهذا الصراع أنعكس سلباً على المجتمع النابلسي في ذلك الوقت وأدى إلى ظهور الأحلاف بين بعض العائلات ضد أخرى.

قائمة المراجع:

1. ابن إياس أبو البركات محمد بن أحمد (ت930 هـ /1523م)، ط2، بدائع الزهور في وقائع الدهورج5، تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة، ج3، 1965.
2. ابن تغربردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغربردي الأتابكي(ت874 هـ /1469)، النجوم الزاهرة في سيرة ملوك مصر والقاهرة،دار الكتب المصرية، 1992، ج7،القاهرة.
3. إحسان النمر ، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، 4ج، جمعية عمال المطابع التعاونية، نابلس، 1975، ، ج2.
4. أسد رستم، ، الأصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد علي، منشورات كلية العلوم والآداب، الجامعة الأمريكية بيروت،لبنان، 1930م.
5. أكمل الدين إحسان أوغلي، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ج2، نقله إلى العربية، صالح سعداوى، استانبول، 1999م
6. الموسوعة الفلسطينية، عبد الكريم رافق، فلسطين في عهد العثمانيين، المجلد الثاني ، القسم الثاني، بيروت، 1990.
7. أمين مسعود أبو بكر، ملكية الأراضي في متصرفية القدس،(1858-1918)، ط1،مؤسسة عبد الحميد شومان ، عمان.
8. إميل توما، فلسطين في العهد العثماني،ط1، دار الفجر للطباعة والنشر، القدس، 1983.
9. المحبي، محمد أمين(ت1111/1699م)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر،القاهرة، ط1، ج3، 1966.
10. الحسن بن محمد البوريني، تراجم الأعيان من أبناء الزمان، تحقيق: د.صلاح الدين المنجد، ج2، دمشق 1959، 1966.
11. تشارلز تشرشل، جبل لبنان، ترجمة أفندي الشعار، دار المروج للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1985.
12. حسني أدهم جرار، المعارك التاريخية على أرض الشام (جبل النار تاريخ وجهاد)1900-1700.
13. حسن الباشا ، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، القاهرة؛ مكتبة النهضة المصرية، ط1، 1957.
14.
15. دوماني، بشارة. إعادة اكتشاف فلسطين(أهالي جبل نابلس 1900-1700)، مؤسسة الدراسات الفلسطينية،بيروت،ط1، 1998.
16. زهير، غنايم. جباية الرسوم والضرائب من الأراضي الزراعية في فلسطين في ظل نظام التيمار(الالتزام) والتأجير، المؤتمر الدولي التاسع لتاريخ بلاد الشام، 14-10 جمادى الأولى/ 1 5- نيسان 2012
17. سجل محكمة نابلس الشرعية، سجل رقم 1، حجة 3، سنة 1066.
18. سلطان علي ، تاريخ الدولة العثمانية، مكتبة طرابلس العلمية، طرابلس،د.ت،
19. سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، (1421 هـ/2000م).

20. سلطان علي ، تاريخ الدولة العثمانية، مكتبة طرابلس العلمية، طرابلس،د.ت،
21. شامخ زكريا علاونه، النقوش المملوكية والعثمانية في لواء نابلس. دراسة تاريخي، 1998، جامعة القدس، رسالة ماجستير غير مطبوعة.
22. عادل مناع، فلسطين في أواخر العهد العثماني 1918-1700، بيروت، 1999
23. عبد القادر الريحاوي، مدينة دمشق تراثها ومعالمها التاريخية، دمشق،1389 هـ/1969م
24. عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون، (1916-1516)، ط1، دمشق، 1974
25. فانتر هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل جميل العسلي، ط2، منشورات الجامعة الأردنية، 1970.
26. كلبونة، عبد الله. تاريخ مدينة نابلس2500-ق.م1918-م،،نابلس،ط1، 1992
27. كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب العربية، ط5، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1968
28. محمد عدنان البخيت و نوفان الحمود، دفتر مفصل لواء عجلون،(طابوا دفتري رقم 185)، الجامعة الأردنية، عمان،1991،
29. محمد عيسى صالحية ، سجل أراضي ألوية (صفد، نابلس،غزة، وقضاء الرملة)، ط1، جامعة عمان الأهلية، 1999،عمان
30. محمد محمد شُراب، معجم بلدان فلسطين، 1987
31. محمد كرد علي، خطط الشام، مطبعة الترقي، دمشق (1343 هـ /1925م)، الجزء 3.
32. معمر توفيق ، ظاهر العمر، كتاب يتناول تاريخ الجليل خاصة والبلاد السورية عامة ، ط2، مطبعة أوفيست، الناصرة، 1990،